ثانيا: العــــصاب

(شارع مدينة قديمة من مدن الأقاليم)

بــــــدور : مــازلت عند قــولي ، لا ، لا أوهـام ! علينا أن نعلم الناس الحقيقة دائما ، لا شئ غير الحقيقة ، الحقيقة الخالصة، وليكن ما يكون.

خـــــوان : وإذا قتلتهم الحقيقة ، وأحيتهم الأوهام ؟

بـــــدرو : فليكن ، نعم الميت هو من أماتته الحقيقة ، صدقنى.

خـــــوان : للناس أن تعيش!

بـــــدرو : لكى يعرفوا الحقيقة ، ويعملوا فى خدمتها . الحقيقة حياة.

خـــــوان : الأحرى أن الحياة حقيقة.

بـــــدرو : حذار يا صديقى ، أنت تتلاعب بالكلمات.

خـــــوان : وأنت بالمشاعر.

بـــــدرو : هل لك أن تخبرنى ، لماذا وُهِبنا العقل؟

خـــــوان : ربما لنصارعه ، فنستحق الحياة.

بـــــدرو : هراء ، بل لنصارع به الحياة فنستحق الحقيقة.

خـــــوان : صه! ربما يحدث لنا مع الحـقـيـقـة ، كـمـا يقـول الكتـاب المقدس ، مثلما يحدث لنا مع الله ، فمن يراه يموت !

بـــــدرو : ياله من موت جميل ! الموت برؤية الحقيقة ! وهل للمرء أن يطمع فى شئ آخر!؟

خـــــوان : الإيمان ، الإيمان هو مـا يهبنا الحـيـاة ، بالإيمان نـعيش ، يعطنا للحياة معنى ، يعطنا الله.

بـــــدرو : بالعقل نعيش ، فالعقل يكشف لنا لغز العالم ، العقل يدفعنا للعمل.

خــــوان : (يحدق فى ماريا) ماذا دها هذه المرأة ؟

(تقترب ماريا فزعة تتيه بها ساقاها ، مادة يديها تتحسس الهواء)

بـــــدرو : عصا ، من فضلكم عصا ، لقد نسيت عصاى بالدار.

خــــوان : عصا ؟ ها هى ! (يقدم لها العصا فتمسكها ماريا)

مـــاريا : أين أنا ؟ (تتلفت) أين الطريق ؟ لقد تهت . ما هذا؟ ما الطريق ؟ خذ ، خذ ، صبرا (تعيد له العصا)

(تخرج منديلا وتعصب عينيها)

بـــــدرو : بالله عليك ، ماذا تفعلين ، يا أمة الله ؟

خــــوان : أعصبهما لأرى الطريق جيدا .

بـــــدرو : أتعصبين عينيك لترين الطريق جيدا !؟ ، لا أفهم.

مـــاريا : أنت لا تفهم ... لكننى أفهم .

بـــــدرو : (هامسا لخوان) تبدو مجنونة.

مـــاريا : مجنونة ؟ لا ، لا ! يا للمصيبة ، يا إلهى ، يا للمصيبة ، مسكين أبتاه ، مسكين أبتاه ! عفوا ... وداعا .

بـــــدرو : ألم أقل لك ... مجنونة !

خــــوان : (يوقفها) ماذا دهاك يا سيدتى ؟

مـــاريا : (معصوبة العينين) اعطنى العصا ، واسمحا لى بالانصراف.

خــــوان : سنسمح لك ، لكن ... افصحى.

مــــاريا : (تمسك العصا) دعك من الإفصاح الآن فأبى يحتضر ، أبى يحتضر وأود رؤيته قبل أن يموت ، مسكين أبى ، مسكين أبى . (تتلمس بالعصا جدران المنازل منطلقة فى السير.

بـــــدور : (يهم بالسير ورائها) لابد من إيقافها ، سوف تقتل نفسها ، إلى أين تذهب هكذا ؟

خــــوان : (يوقفه) انتظر ... انظر ... إنها تسير آمنة واثقة الخطوة ، ياله من جنون غريب !

بـــــدرو : بالفعل مجنونة .

خــــوان : حتى لو كانت مجنونة ، أتعتقد أنك ستعالجها بإيقافها ؟ دعها !

بـــــدرو : (موجها الحديث إلى السيدة " اوخينيا " التى تصادف مرورها حينذاك) مجنونة ، أليست كذلك ؟

أوخـينيـا : مجنونة !؟ ... لا ... بل كفيفة.

بـــــدرو : كفيفة!؟

أوخـينيـا : نعم ، كفيفة . إنها تجول بعصاها أنحاء المدينة ولا تضل الطريق أبدا . تعرف أزقتها ودروبها . تزوجت منذ ما يربو على العام ، تعود الآن يوميا أبيها الذى يعيش فى أحد أحياء الضواحى ، لكن ، ألستما من أهل المدينة ؟

خــــوان : لا ، لا يا سيدتى ، نحن غرباء

اوخـينيـا : واضح .

خــــوان : خبرينى ... إذا كانت كفيفة ... لماذا تعصب عينيها؟

أوخـينيـا : (تهز كتفيها) أصدقك القول ، لا أعرف . هذه أول مرة أراها تفعل ذلك ، ربما يؤذى الضوء عينيها .

خــــوان : لا ، إذا كانت لا ترى فكيف يؤذيها الضوء ؟

بــــدرو : قد يؤذى الضوء غير المبصرين .

خــــوان : إنه أكثر إيذاء للمبصرين.

(تخرج الخادمة وتتوجه بالحديث إلى أوخينيا)

الخـادمـة : أرأيت سيدتى ؟

أوخـينيـا : نعم ، لقد راحت فى هذا الاتجاه ، ربما بلغت الآن شارع " كروثيرو" .

الخـادمـة : يالها من ورطة ! ، يا إلهى ... يالها من ورطة ! .

بــــدرو : (موجها الكلام للخادمة) بالله عليك يا فتاتى ، أسيدتك ضريرة ؟

الخـادمـة : لا يا سيدى ... كانت.

بــــدرو : ماذا تقصدين ب " كانت " ؟

الخـادمـة : أقصد أنها تبصر الآن .

اوخـينيـا : تبصر !؟ ، كيف هذا ؟ ماذا تعنين بأنها تبصر الآن ... كيف ؟

الخـادمـة : نعم ، تبصر.

خـــــوان : كيف ؟ قولى .

الخـادمـة : كانت سيدتى ضريرة ، ولدت ضريرة ، تزوجت سيدى منذ ما يربو على العام ، ومنذ شهر تقريبا عادها الطبيب ، قال أنه يمكن إعادة البصـر لهـا ، أجـرت عـمليـة جـراحيـة استعادت إثرها الرؤية ... وترى الآن.

اوخـينيـا : لم أعلم بذلك.

الخـادمـة : إنها مـازالت تتـعلم كيف ترى ، تتـعـرف على الأشـيـاء ، تتحسسها مغلقة العينين ، ثم تفتحهما ، وتعود لتتحسسها من جديد ، ثم تنظرها . لقـد أمـر الطبـيب ألا تخرج إلى الشـارع قـبل أن تتـعـرف جيـدا على المنزل ، ألا تخـرج وحدها . منذ برهة أتاها من أبلغها أن والدها مريض وفى حـالة خطرة ، يحـتـضـر ، أصـرت على الخـروج لرؤيتـه. سـألتنى مـرافـقـتـهـا ، لكننى رفـضت مـحـاولة منعـهـا من الخروج فهربت ، يالها من ورطة ! .

خـــــوان : (موجها الحديث إلى بدرو) الآن أدرك سر العصاب ، لقد ألفت نفسها فى عالم لا يدركه البصر ، ولتصل إلى أبيها لا تعـرف طريقـا آخـر غيـر طريق الظلمـات . لـم يجـانبـهـا الصواب عندما قالت إنها تعصب عينيها كى ترى الطريق جـيـدا... لنعـد الآن إلى مـوضـوعنا : الوهـم، والحـقـيـقـة الخالصة ، إلى موضوع العقل والإيمان .

(ينصرفان)

بـــــدرو : (منصرفا) رغم كل شئ يا عزيزى ، رغم كل شئ ...
(يخفت صوتهما) .

اوخـينيـا : ياله من موضوع غريب هذا الذى يتحدث عنه السيدان !
لكن قولى لى ... وماذا بعد ؟

الخـادمـة : لا أدرى ، لقد أمرنى سيدى لدى خروجه لعيادة الجد الذى أعتقد أنه لن يسلم هذه المرة ، ألا أبلغها بمرضه ، ولا أعرف كيف علمت .

أوخـينيـا : تقولين أنها ترى الآن؟

الخـادمـة : نعم ترى .

أوخـينيـا : من كان يتوقع ذلك !؟ ... لقد عرفتها منذ نعومة أظفارها كفيفة ... مسكينة ، سبحان الله ، آه منا نحن البشر ... ليس لأحد أن يجزم بشىء . لكن بالله عليك خبرينى ، ماذا طلبت بمجرد استعادة بصرها؟

الخـادمـة : طلبت مرآة بمجرد انتهاء مفعول المخدر.

أوخـينيـا : بديهى.

الخـادمـة : راحت تنظر فى المرأة بلهاء ، وعندما سمعت صوت وليدها التفتت إليه تنظره وتتحسسه.

اوخـينيـا : علمت أنها رزقت طفلا.

الخـادمـة : جميل الطلعة ، لقد استعادت بصرها بعد نقاهتها من الوضع مباشرة ، وياللا دهشتها عندما رأت الطفل يبكى لأول مرة ، راحت تنظر له طويلا ... طويلا ... ثم انفجرت

باكية ، متسائلة ... أهذا ابنى ؟ أهذا .. هو ؟ ، راحت ترضعه وتتلمسه ، تغلق عينيها وتتحسسه ، ثم تفتحهما وتنظره وتقبله ... تحدق فى عينيه لترى ما إذا كان يراها ... تسأله ، أترانى؟ ، أترانى يا حياتى؟

اوخينيا : يالها من مسكينة ! ، تستحق أن يرد لها بصرها ، نعم تستحق ذلك ، فهناك كثير من السفيهات اللاتى لن تخسر الإنسانية شيئا إذا لم يرن أحد ... أما سيدتك فطيبة ، جميلة ، سبحان الله !

الخادمة : ليس هناك أطيب منها .

أوخينيا : حفظها الله ... ألم تره حتى الآن؟

الخادمة : تقصدين الجد ؟ ... لم تره ... أما الطفل فقد راحوا به ليرى جده ، وعندما عاد أخذت تقبله وتسأله ... أرأيته ، أنا لم أره ... لم أر أبى أبدا !!

أوخينيا : يا لا غرابة ما يحدث فى العالم ... لكن ليس بيدنا شئ يا بنيتى ... إلا أن نتركه.

الخادمة : حقا ، ولكن كيف أتصرف الآن؟

أوخينيا : لا حول ولا قوة لنا .

الخادمة : حقا .

أوخينيا : ياله من عالم يا بنيتى ... ياله من عالم .

المشهد الثانى

(داخل منزل أسرة من الطبقة المتوسط)

الأب : لقد انتهيت ، أشعر أن الحياة تفر من يدى ... لقد عشت بما فيه الكفاية ، لن أثقل عليكم كثيرا بعد اليوم.

مارتا : من قال أنك تثقل علينا ؟ دعك من هذا ، فقد يعتقد البعض ...

الأب : إن حالتى الآن أفضل ... بيد أن النوبات تعاودنى دون سابق إنذار ، وفى إحداها ...

مارتا : بعد الضيق فرج يا أبى.

الأب : هذا ما يقولون ... لكنه قول لا يتجاوز اللسان يا بنيتى، يعيش الإنسان يبتدع الأقوال . المهم أننى أموت مطمئنا لأننى أراكما حولى مستقرتين ، لقد استعادت ماريتى التى كانت ضرارتها شوكة فى قلبى بصرها قبل أن أموت ، ولى الآن أن أموت فى سلام .

مارتا : (مقدمة طبقا من الحساء) ها يا أبى ، لك هذا الحساء فأنت تبدو اليوم واهنا .

الأب : وهنى يا بنيتى لا يشفيه حساء ، ضعفى لا علاج له ، ومع ذلك هاته ، لن أضايقك (يتناول الحساء) ... لا فائدة.

مارتا : لا فائدة ؟ ليس ما يدور بخلدك إلا أوهاما ... أوهاما يا أبى ، لا تعانى إلا من بعض الضعف ، قال الطبيب أن

تحسنا ملحوظا طرأ عليك .

الأب : نعم ، قـولك المأثور ... قـال الطبـيب . إنك والطبـيب لا تحاولان إلا خداعى . أدرك أنكم تفعلان ذلك بحسن قصد ، شفقة بى ، يا بنيتى ، إن محاولات الغش والخداع تنهار أمام سنواتى الثمانين.

مـــارتـا : ثمانون...! هناك من يبلغ المائة.

الأب : وهناك من يموت فى العشرين.

مـــارتـا : من منا يتحدث عن الموت يا أبتاه؟

الأب : أنا يا بنيتى ، أنا من يتحدث عن موتى.

مـــارتـا : فلنتحلى بالعقل.

الأب : نعم ، أدرك ما ترمين إليه ... ماذا عن زوجك ؟

مـــارتـا : يعمل اليوم فى الحقل ، خرج مبكرا.

الأب : أيعود اليوم؟

مـــارتـا : اليـوم؟ ، لا أعـتـقـد ، فلديه الكثـير من المهـام ، سـيظل مشغولا لعدة أيام .

الأب : وإذا لم أره ؟

مـــارتـا : ليس بيدنا ما نفعل ... إنه يعمل من أجل لقمة عيشنا .

الأب : ألن يمكنك قول : عيش أبنائنا ؟

مـــارتـا : أتلومنى يا أبتى؟

الأب : ألومك ؟ لا ... لا...

مـــارتـا : بلى ، حديثك يلقى على دائما تبعة أننا حرمنا من الأطفال

... ربما يجب أن يسعدك هذا.

الأب : يسعدنى ؟ لماذا ؟ ... لماذا يا مارتا ؟

مــــارتـا : لأننى أتفرغ بذلك للعناية بك.

الأب : أنا أبوك ، الآن ابن لك ... إننى أعيش طفولتى الثانية ... أصير يوما وراء آخر أكثر طفولة من ذى قبل ، سأعود إلى الرحم قريبا .

مــــارتـا : (تقبله) هون عليك يا أبتى ... دعك مما تفكر.

الأب : هذا التفكير جعلنى غريبا بين الناس ... أما أنت فعاقلة متعقلة يا بنيتى. صدقينى ، لا يضايقنى تأنيبك لى.

مــــارتـا : تأنيب ... أنا ؟ أؤنبك أنا ، يا أبتى ؟

الأب : نعم يا بنيتى ، نعم ... تعاملييننى ، رغم احترامك لى ، كما لو كنت طفلا تتلاعب به نزواته ، هذا طبيعى ، لقد سلكت نفس المسلك مع أبى . أعزكما الله ، ورزقكما الأبناء إذا كان فى ذلك خيركما. أشعر بالأسى أن أموت ولا أرى حفيدا لى منك .

مــــارتـا : ها حفيدك ، ابن أختى ماريا .

الأب : بنى ... ياله من طفل بهى الطلعة ، زهرة يانعة ، له عينا أمه ، عيناى ، إنه يرى ... حقا؟ يبصر ... أليس كذلك ؟

مــــارتـا : نعم يبصر ... يبدو أنه يبصر...

الأب : يبدو ...؟

مــــارتـا : مازال صغيرا.

الأب : إنهـا تبـصـر الآن ، ترى ، مـاريتى ترى ، حـمـدا لله ... الحـمـد لك ، مـاريتى ترى ، كنت قـد فـقـدت الأمـل ، كل الآمال ... ليس للإنسان أن ييأس أبدا ... أبدا.

مـــــارتـا : تتحسن حالتها يوما وراء آخر، إن العلم يصنع المعجزات .

الأب : المعجزة الأبدية من صنع الله.

مـــــارتـا : لقد شاعت المجىء لرؤيتك ، لكن...

الأب : أريد أن تأتى ... فلتـأت فورا ... فى الحال ، أود أن أراها وترانى ، أن أراها كـمـا ترانى ، أريد أن ترانى ، قـبل أن أموت ، ابنتى الكفيفة لأول ، وربما لآخر مرة .

مـــــارتـا : أبى ، ربما لا تستطيع ذلك الآن ، ستراها عندما تسمح الحالة بذلك .

الأب : حالة من ؟ أنا ؟ عندما تتحسن حالتى أنا؟

مـــــارتـا : نعم ، وعندما تستطيع هى الخروج من المنزل؟

الأب : ألا تستطيع الخروج من المنزل؟

مـــــارتـا : بلى ، لا تستطيع الآن ، لقد حرم عليها الطبيب الخروج.

الأب : الطبيب ... الطبيب ... دائما الطبيب ... أريد أن تأتى ، بما أننى رأيت ولو للحظة حـفـيـدى ، أود أن أشـاهد أنهـا ترانى بعينيها الجميلتين قبل أن أموت.

(يدخل خوسيه)

الأب : مرحبا خوسيه ... وزوجك ؟

خـوسـيـه : ماريا ، لا تستطيع الحضور ، سأجيئك بها فى غضون

أيام.

الأب : فى غضون أيام سأموت.

مـــــارتـا : (موجهة الحديث إلى خوسيه) دعك منه ، لقد تملكه هوس الموت .

الأب : هوس...!؟

خـوسيـه : (يجس نبضه) نبضك اليوم أفضل.

مـــــارتـا : (موجهة الحديث إلى خوسيه بصوت خافت) علينا أن نطمئنه.

خـوسيـه : نعم ، فليمت دون أن يعى.

مـــــارتـا : وهذا ليس موتا.

الأب : خوسيه ... كيف حال الطفل؟

خـوسيـه : بخير...

الأب : حفيدى!...إنها سعيدة برؤية طفلها.

خـوسيـه : لك أن تتخيل ذلك يا أبى .

الأب : فلتأتونى به مرة أخرى ، الآن ، أريد رؤيته ، أنه يعيد لى شبابى ... ربما أستطيع المقاومة فترة أطول إذا احتضنته بين ذراعى.

خـوسيـه : لا يمكننا أن نأخذه من أمه طويلا.

الأب : فلتأتنى هى به .

خـوسيـه : هى ؟

الأب : نعم ، هى ، فلتأت بالطفل ، أريد رؤيتها مبصرة ، وأن

يرانيا معا.

خــوسيــه : ولكنها...

(تعاود النوبة الأب)

خــوسيــه : (موجها الحديث إلى مارتا) كيف حاله الآن ؟

مـــــارتـا : سيئ للغاية ، إنه القلب.

خــوسيــه : القلب!؟ ، يموت بما عاش، يموت لأنه عاش.

مـــــارتـا : تعاوده النوبة كما ترى من حين إلى آخر، قد تزول سريعا فيهدأ ، ويسكن ، ويتكلم ، ويعقل الأمور... يقول الطبيب إنه قد يموت حين لا نتوقع ، وأنه علينا أن نجنبه الانفعالات القوية ، لذلك يجب ألا تأتى زوجك ، فسيعنى ذلك موته .

خــوسيــه : لا شك .

الأب : ولكن، أريد أنا أن تأتى.

(تدخل ماريا معصوبة العينين)

خــوسيــه : ماريا ! ، ماذا دهاك ؟

مـــــارتـا : أجننت يا أختاه ؟ (تحاول إيقافها)

مـــــاريـا : دعينى يا مارتا .

مـــــارتـا : لماذا جئت ؟

مـــــاريـا : لماذا !؟ أتسألينني أنت يا مارتا ؟ جئت لرؤية أبى قبل أن يموت.

مـــــارتـا : يموت ؟

مـــاريا : نعم ، أعلم أنه يحتضر ، لا تحاولى خداعى.

مـــارتا : خداعك ... أنا ؟

مـــاريا : نعم أنت ، إننى لا أخشى الحقيقة.

مـــارتا : لست أنت المقصودة ، بل هو ، فقد يعجل ذلك بمنيته.

مـــاريا : إذا كان عليه أن يموت ، فليمت معى.

مـــارتا : لكن ... ما هذا ؟ (تشير إلى العصاب) انزعيه.

مـــاريا : لا ، لا ، لن أنزعه ، دعونى . إنى أدرك ما أفعل.

مـــارتا : (هامسة) لم تتغير!

الأب : (يشعر بوجود ماريا) من هناك ؟ مع من تتحدثين ؟ إنها ماريا ؟ نعم إنها ماريا ... ماريا...! ماريا ! ، حمدا لله أن أنت.

(تتقدم ماريا تاركة العصا ، تركع عند قدمى أبيها دون أن تنزع العصاب ، تربت عليه)

مـــاريا : أبتاه ... أبتاه ، ها أنا ... معك .

الأب : حمدا لله ... بنيتى ! أخيرا أشعر بالسلوى لرؤيتك قبل أن أموت ... إننى أحتضر.

مـــاريا : ليس بعد يا أبى ... وها أنا معك.

الأب : بل أحتضر.

مـــاريا : لا... ليس لك أن تموت ، يا أبى .

الأب : كل من يولد يموت .

مـــاريا : لا ... أنت ... لا .

الأب : مـاذا ؟ ألم أولد ؟ إنك لم ترين مـولدى ، بنيـتى ، ولدت وأموت.

مـــاريا : لا أريد أن تموت يا أبى .

مـــارتا : كفاكما بلاهة . (موجهة الحديث إلى خوسيه) يجب أن لا نتحدث عن الموت ، سيما أمام المحتضرين .

خـوسيـه : نعم بالصمت نتفاداه .

الأب : (موجها الحديث إلى ماريا) اقتربى بنيتى ، لا أراك جيدا ، أريد أن ترينني قبل أن أموت ، أريد أن يكون عزائى قبل موتى أن ترانى عيناك الجميلتان . لكن ... ما هذا ؟ ماذا تضعين على عينيك ؟

مـــاريا : لقد عصبتهما لأرى الطريق.

الأب : لترين الطريق ؟

مـــاريا : نعم ، فلم أكن أعرفه .

الأب : (متروية) حقا ، لكن بما أنك فى حضرتى فاخلعيه عنك ، اخلعيه . أريد رؤية عينيك ، أن ترينى ، أن تعرفيني.

مـــاريا : أعرفك ؟ إننى أعرفك جيدا ، جيدا ، أبتاه (تربت عليه) هذا أبى ، هـو ، هو ، ليس آخـر ، هـو من أمطر عـينى الضريرتين بقبلاته ، قبلات ، أثمرت بفضل الله ، هو أبى الذى علمنى رؤية ما لا يُرى ، أبى الذى مـلأ بالله روحى ، (تقبل عينيه) ، لقد رأيت أنت عـوضـا عنى أفضل مما أرى لنفسى ، كانت عيناك عينى ، (تقبل يده) هذه اليد ،

هذه اليد المقدسة ، هدتني في دروب الحياة المظلمة ، (تقبل فمه) من هذا الفم انطلقت إلى قلبي كلمات تعلمني ما خفي علي في الحياة ، أعرفك يا أبي ، أعرفك ، أراك ، أراك جيدا ، أراك بقلبي ... (تعانقه) هو ، هو ، أبي وليس آخر ، هو ، هو ، هو ...

خوسيه : ماريا !

ماريا : (تثب إلى رشدها) ماذا !؟

مارتا : أنت تضرينه بهذا الانفعال .

ماريا : دعوننا ! ألا تدعوننا نتمتع بما بقي لنا من حياة ؟ ألا تدعوننا نعيش ؟

خوسيه : أهذه ...

ماريا : نعم ، هذه حياة ، (تلتفت إلى أبيها) هذه حياة أبي ... حياة ...

الأب : نعم ، هذه حياة ، صدقت يا بنيتي .

مارتا : (تقدم له الدواء) ها يا أبي ، حانت ساعة الدواء.

الأب : دواء ؟ ... لماذا ؟

مارتا : ليشفيك.

الأب : هذا (يشير إلى ماريا) دوائي ، ماريا ، بنيتي ، روحي.

مارتا : وابنتك الأخرى؟

الأب : لقد ولدت مبصرة يا مارتا ، إياك والغيرة .

مارتا : (هامسة) نعم ، لقد أحسنت استثمار بلوتها.

الأب : بماذا تهمهمين أيتها الحمقاء ؟

مـــــاريا : لا تلمها يا أبى ، مارتا طيبة ، مـاذا كان من أمرنا دونها ؟ أكنا نعيش بمعسول الكلم ؟ أختاه ... (تقترب مارتا ، تتعانق الشقيقتان وتقبل كل منهما الأخرى) مارتا ، لقد ولدت مبصرة ومُتعت بالنور ، دعينى ، فلَم يكن لى فى حياتى عزاء إلا حنان أبى .

مـــــارتا : حقا ما تقولين .

مـــــاريا : أترين يا مارتا ؟ أترين ؟ عليك أن تتفهمى ذلك (تحنو عليها)

مـــــارتا : نعم ، لكن ...

مـــــاريا : دعك من " لكن " يا شقيقتى ، أنت من هواة الـ " لكن " ، وكيف حال أبى ؟

مـــــارتا : يحتضر .

مـــــاريا : لكن ...

مـــــارتا : الـ " لكن " لا تفيد، تتسلل منه الحياة لحظة بأخرى .

مـــــاريا : لكن بهجته بشفائى وبرؤية حفيده ... ! أعتقد ...

مـــــارتا : لقد كنت شديدة الثقة دائما فى نفسك ، معتدة بها ، بيد أنه يموت ، وربما كان ذلك أفضل ، لأن عيشته ليست حياة ... فهو يعانى ونعانى جميعا معه . ليكن ما لا مفر منه ، شرط ألا يعانى .

مـــــاريا : أنت دائما متعقلة.

مـــــارتـا : دعك من هـذا ، ولنقنع بما لا بد منه (يتـعـانقان) اخلعى هذا العصاب استحلفك بالله (تحاول نزع العصاب)

مـــــاريا : لا...لا... دعيه ... فلنقنع يا أختى .

مـــــارتـا : (موجهة الحديث إلى خوسيه) هكذا ينتهى الجدل فيما بيننا .

خـوسـيـه : لتعاودانه من جديد.

مـــــارتـا : هذا أسلوبنا فى حب أحدنا للأخرى.

الأب : (مناديا) ماريا ... ! تعالى واخلعى عنك هذا العصاب ، اخلعيه ... لماذا وضعته ؟ أيؤذيك النور ؟

مـــــاريا : لقد أخبرتك أننى عصبت عينى لأرى الطريق إليك .

الأب : اخلعيها ، أريد أن ترينى أنا وليس الطريق .

مـــــاريا : إننى أراك ، هذا أبى وليس آخـــر (يحـــاول الأب نزع العصاب فتقاومه) لا ... لا...

الأب : دعينى أرى على الأقل عينيك ، هاتين العينين الجميلتين اللتين سبحتا فى الظلمات ، هاتين العينين اللتين طالما رأيت نفسى فيهما ولم ترينني بهما ، كم سعدت بتأملهما ناظرا فيهما نفسى بألم مستفسرا لماذا كل هذا الجمال إذا كانتا غير مبصرتين ؟

مـــــاريا : كى ترى نفسك فيهما يا أبى ، لكى يكونا مرآتك ، مرآة حية.

الأب : بنيتى ، بنيتى ... كم تساقط دمعى ، دمع التسليم

للمقادير ، فى عينيك الضريرتين عندما كنت أرنو إليهما .

مـــاريا : بعدها بكيت أنا دموعك يا أبتى .

الأب : استحلفك بهاته الدموع بنيتى ... استحلفك بها ، انظرينى الآن بعينيك ... أريد أن ترينى .

مـــاريا : (تجثو إلى قدمى أبيها) لكن إذا رأيتك أبتى ، إذا رأيتك ...

الخـادمـة : (تنادى) سيدى ...

خـوسيـه : (ملبيا) ماذا ؟

الخـادمـة : (تدخل حاملة الطفل) لقد اعتقدت أنكما لن تعودا ، فلما بكى الطفل جئت به ... إنه نائم .

خـوسيـه : هذا أفضل ، دعيه .

مـــاريا : آه ... الطفل! هاته.

الأب : الطفل؟ نعم ، هاته.

مـــارتا : لكن ، بالله ...

(تتقدم الخادمة بالطفل ، تأخذه ماريا ، تقبله وتضعه أمام الأب)

مـــاريا : ها هو يا أبتاه (تضعه فى أحضانه)

الأب : بنى ... انظرى كيف يبتسم فى أحلامه ، يقولون فى ذلك أنه يتحدث مع الملائكة ... أيرى ، ماريا ، أيرى ؟

مـــاريا : نعم يا أبتاه يرى .

الأب : أله مثل عيناك ؟ نفس عينيك ، أرينهما ، فليفتحهما.

مـــاريا : دعه نائما يا أبتاه ، يجب ألا نوقظ الأطفال من نومهم ،

إنه ينعم الآن بالجنة ... من الأفضل أن يظل نائما .

الأب : لكن ... افتحى أنت عينيك ، اخلعى عنك هذا ... انظرينى ، أريد أن ترينى ... أريد أن أرى أنك ترينني ... اخلعيه. ربما ترينني، بيد أنني لا أرى أنك ترينني، أريد أن أرى أنك ترينني.

مـــــارتـا : كفاك ... هذا آخر رجاء ... عليك أن تفرجى عن أبيك (تخلع عنها العصاب) ها هو أبانا يا أختاه ...

مـــــاريـا : أبتاه ... (تقف فزعة تنظره ، تدعك عينيها ، تغلقهما ، يفعل الأب نفس الشيء)

خـوسيـه : (إلى مارتا) أعتقد أن الانفعال أقوى من أن يتحمله ، أخشى ألا يطيقه قلبه .

مـــــارتـا : كان من الجنون أن تأتى امرأتك .

خـوسيـه : كنت قاسية بعض الشيء.

مـــــارتـا : لا بد من ذلك معها .

الأب : (يمسك الأب يد مارتا ثم يسقط فى مقعده ميتا ، تقبله مارتا فى جبهته وتمسح دموع عينيها ... بعد برهة تمسك ماريا بيده الأخرى فتشعر بها باردة)

مـــــاريـا : آه ... باردة ، باردة ... مات ... أبتاه ... أبتاه ... لا تسمعنى ... لا ترانى ... أبتاه ... بنى ... ها أنا ... لا تبك ... أبتاه ... العصاب ... العصاب ... لا ... لا أريد أن أرى بعينى أبدا .

ستـــار